آداب الرافدين – العدد (53)

1430هـ/2009م

حروف الزيادة في بنية المفردة العربية: "دراسة صوتية"

م.م. خالد حازم عيدان*

تاريخ التقديم: 2008/7/15 تاريخ القبول: 2009/1/21

المُقَدِّمــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ...

فلا تزال كلية الآداب ترفد المجتمع العلمي بعطائها الزاخر، وتحفل بكلِّ ما هو مفيد و جديد استقطاباً للجهود البنَّاءة، ومن تلك العطاءات ما تُتَوِّجُ به كُلَّ عام دراسي بمؤتمرها العلمي السنوي. وسعياً منا في المشاركة بهذا المحفل العريق، والسعي نحو الرقي العلمي، جاء هذا البحث المتواضع.

وكانت فكرة البحث تدور حول الدراسات اللسانية التي تُعَدُّ محوراً أساسياً من محاور المجتمعات، إذ لا يمكن أن يكون هنالك مجتمعٌ دون لغة، وكان الجانب الصوتي – الذي يُعَدُّ أحد عناصر الدراسات اللسانية – محور هذه الدراسة، فاخترتُ أن أدرُسَ "حروف الزيادة في بنية المفردة العربية – دراسة صوتية –"، وجاء البحث مُشْتَمِلاً على تمهيد يبين معنى الزيادة في اللغة والاصطلاح، ومبحثين: الأوَّلُ يتناول عرض حروف الزيادة عرضاً صرفياً، كالتعريف بتلك الحروف، والجمل والأبيات والصيغ التي جمعت تلك الحروف على ألسن النحويين والصرفيين، ودراسة الأدلَّة على معرفة الزائد.

أمَّا المبحث الآخر، الذي يُعَدُّ المحور الأساس لهذا البحث، فيدور حول دراسة الخصائص الصوتية لهذه الحروف، ويسبق هذه الدراسة وقفة مع بعض المقولات التي كان يذكرها الدارسون عن تلك الحروف و سبب اختيارها من أجل توضيحها والتعليق عليها وبيان سبب الزيادة من خلال الاستشهاد بأقوال العلماء

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

المتقدِّمين والمحدثين، ولاسيما تلك التي أولت للجانب الصوتي اهتماماً ملحوظاً، وبعد تلك الوقفة تأتي دراسة كلِّ حرفٍ من حروف الزيادة على حدة وكشف الأوجه الصوتية التي جعلتها تدخل في هذا الباب.

وفي نهاية البحث تأتي الخاتمة مُتَوِّجَةً له بأهم النتائج المُتَوَصَّلِ إليها من خلال هذه الدراسة، وأخيراً وليس آخراً أقول: ما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وما فيه من غير ذلك فمن نفسي، فألتمس من القارئ العذرَ فالكمال لله وحدَهُ، وأتقدَّمُ بالشكر لكلِّ من أعانني على إنجازه ولله الفضل والمنَّة. وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

تمهيـــد:

<u>تعريف حروف الزيادة في اللغة والاصطلاح</u> : الزيادة في اللغة: ((النمو، وكذلك الزُّوادة. والزيادة: خلاف النقصان، زاد الشيء يزيدُ زَيْداً وزيادةً و زياداً ومزيداً ومزاداً، أي: ازداد. والزَّيْدُ والزِّيْدُ: الزيادة... وزدْتُه أنا أَزِيْدُهُ زيادةً جَعَلْتُ فيه الزيادةَ)).[1] أمَّا في الاصطلاح: فهناك أكثر من تعريف لحروف الزيادة، منها ما هو جامع مانع، ومنها ما هو غير ذلك. ذكر ابن عقيل تعريف ابن مالك لأحرف الزيادة فقال: ((الحرف الذي يلزم تصاريف الكلمة هو الحرف الأصلي، والذي يسقط في بعض تصاريف الكلمة هو الزائد))[2]. واعترض ابن هشام على التعريف في التوضيح لخالد الأزهري بقوله: ((وفي التعريفين نظر، أمَّا الأول، فلأنَّ الواو من كوكب والنون من قرنفل زائدتان... مع أنهما لا يسقطان، وأما الثاني؛ فلأنَّ الفاء من وعد والعين من قال واللام من غزا، أصول مع سقوطهنَّ في: يعد، وقل، ولم يغزُ))[3]. وذكر الأزهري أن المرادي قد أجاب عن ابن مالك فيما اعترض

---

(1) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت 711هـ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ-1994م، ج3ص198 باب "ز ي د".

(2) شرح ابن عقيل، عبد الله بن عقيل ت 769هـ، الطبعة الثالثة عشرة، مطبعة السعادة، مصر، 1962، ج4ص421.

(3) شرح التصريح على التوضيح، للإمام خالد بن عبد الله الأزهري، دار إحياء الكتب العلمية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج 2ص 359.

عليه ابن هشام بقوله: ((إنَّ الأصل إذا سقط لعلَّة فهو مقدَّر الوجود بخلاف الزائد، والزائد إذا لزم فهو مقدَّر السقوط؛ ولذلك يقال: الزائد ما هو ساقط في أصل الوضع تحقيقاً أو تقديراً))[1]. وهو ما ذهب إليه الأشموني في شرحه للألفية[2].

في حين نجد ابن يعيش يعرِّف الزيادة بقوله: ((الحاق الكلمة من الحروف ما ليس منها، إمَّا لإفادة معنىً، كألف ضارب، و واو مضروب، وإمَّا لضرب من التوسع في اللغة، نحو ألف "حمار" و واو "عمود" و ياء "سعيد")) [3]. وتعريفا ابن يعيش والمرادي يؤديان المعنى نفسه، وكلاهما جامع مانع لمعنى الزيادة، وقد يعترض أحد على عدم تحديد حروف الزيادة في التعريف بتلك المتعارف عليها والتي قد جمعوها بصيغ عدة – على ما سيأتي إن شاء الله – التي هي مجموعة في قولهم: "سألتمونيها" والجواب على ذلك، أنها لا تقع الزيادة من هذه الأحرف في بعض الحالات فمنها تكرار الأصل؛ و لذلك جاء في التصريح: ((الزائد نوعان، تكرار الأصل وغيره. فالأول وهو تكرار الأصل لا يختص بأحرف بعينها، بل يكون في جميع الحروف، إلا الألف فإنَّها لا تقبل التضعيف وسواءً كانت من حروف "سألتمونيها" أم لا، والزائد لتكرار أصل شرطه أن يماثل اللام كجلبب بزيادة الباء الثانية للإلحاق بـ دحرج))[4].

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه د.ط. د.ت.، ج4ص250.

(3) شرح المفصَّل، تأليف موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي المتوفى 643هـ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1422 هـ. 2001م، ج 5 ص 314. وينظر: شرح الملوكي في التصريف، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ت 643هـ، تحقيق د. فخر الدين قباوه، المكتبة العربية،سوريا–حلب الطبعة الأولى 1393هـ–1973م، ص101.

(4) شرح التصريح، الأزهري،ج2 ص359، وينظر: حاشية الصبان ج4 ص251.

المبحـث الأوَّل

<u>حروف الزيادة – عرض صرفي:</u> أما عن ذكر هذه الحروف، فقد ذكر سيبويه في كتابه أنَّ عدد أحرف الزيادة عشرة أحرف، وهي: الهمزة والألف والهاء والياء والنون والتاء والسين والميم والواو واللام. (1) وكذلك هي عند المبرِّد، (2) وقد زعم بعضهم أنَّه قد أخرج الهاء من حروف الزيادة وسيأتي الردُّ على ذلك في الكلام عن خصائص هذه الحروف. وهي كذلك عند ابن جني، (3) جاء في التصريف الملوكي: ((القول على حروف الزيادة وهي عشرة، الألف، والواو، والياء، والهمزة، والميم، و التاء، والنون، والهاء، والسين، واللام، ويجمعها قولك: "اليوم تنساه"، ويقال: "سألتمونيها" ويحكى أنَّ أبا العباس سأل أبا عثمان [يعني المازني] عن حروف الزيادة فأنشده:

هوِيتُ السِّمانَ فَشيّبنني وما كُنْتُ قِدْماً هويتُ السّمانَا

فقال أبو العباس: الجواب؟ فقال: قد أجبتك دفعتين، يعني قوله: "هويت السمان")). (4)

وقد جمعت هذه الحروف بصور عدة، منها ما هو منظوم، ومنها ما هو منثور ليسهل حفظها، فمن تلك الصيغ ما يؤثر عن ابن مالك الأندلسي أنَّه قد جمعها أربع مرَّاتٍ بقوله:

أَمَانٌ وتَسْلِيْمٌ تلا يَوْمَ أُنْسِهِ هَنَاءٌ وَتَسْلِيْمٌ نِهَايَةُ مَسْؤولِ (5)

---

(1) ينظر: الكتاب، أبو بشر عمرو الملقب بسيبويه ت 180هـ، مطبعة بولاق-مصر، 1361هـ، ج2 ص312-313.

(2) ينظر: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد ت 284هـ، تحقيق د. عبد الخالق عضيمة، مطبعة عالم الكتب-بيروت، ج1ص56.

(3) ينظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني ت 392هـ، تحقيق د. أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، مصر، الطبعة الأولى، ج1 ص69.

(4) شرح الملوكي، ابن يعيش، ص100.

(5) ينظر: الصرف الواضح، عبد الجبار علوان النايلة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1408 هـ 1988م، د.ط. ص26.

وذكر الرضي في شرحه للشافية: أنَّ تلميذاً((سأل شيخه عن حروف الزيادة، فقال: سألتمونيها، فظنَّ أنَّه لم يجبه إحالة على ما أجابهم به قبل هذا، فقال: ما سألتك إلا هذه النوبة، فقال الشيخ: اليوم تنساه، فقال: والله لا أنساه، فقال: قد أجبتك يا أحمق مرتين.)) (1) أي: في قوله: "سألتمونيها" و "اليوم تنساه". وقد جمع المقري في كتابه نفح الطيب في باب ضوابط حروف الزيادة، ما يزيد على مئة صيغة والتي تجمع هذه الحروف، وذكر منها ما جمعه ابن خروف ت 609هـ من صيغ التي زادت على العشرين صيغة، وذكر أنَّ أفضل تلك التراكيب قول ابن مالك:

سأَلْتُ الحرُوفَ الزائِداتِ عَنِ اسْمِها فَقَالَتْ وَلَم تَبْخَلْ أَمَانٌ و تَسْهِيْلُ(2)

ومعنى أنها حروف زيادة لا يعني أنها لا تكون أصولاً، بل يعني أنها لا تأتي الزيادة إلا من هذه الحروف، إلا في باب تكرار الأصل فإنَّه يأتي من الحرف الأصلي نفسه – كما تقدم في تعريف حروف الزيادة– ولهذا قال ابن عصفور في الممتع: ((ولِمَ سُمِّيَتْ حروف الزيادة، وهي قد تكون أصولاً؟ فالجواب: أنَّ المراد بذلك أنها الحروف التي لا تكون الزيادة إلا منها، ألا ترى أنَّه متى وُجِدَ حرفٌ في كلمة زائداً لابدَّ أنْ يكون أحد هذه الحروف؟)). (3) وقال ابن يعيش في شرحه للتصريف الملوكي: ((كأنَّ صاحب الكتاب خاف أن يُفهم من قوله: "حروف الزيادة" أنَّها تكون زوائد حيث تكون، فأوضح أمرها، وعرَّف الغرض من قولهم: "حروف الزيادة"؛ وذلك أنَّه إذا احتيج إلى حرف يزيدونه لم يكن إلا من هذه

---

(1) شرح الشافية، ابن الحاجب رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت 686هـ، تحقيق محمد نوري حسن، محمد الزفّاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،1975م، ج2ص331.

(2) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ت 1041هـ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1406 هـ–1986م، ج5، ص7–9.

(3) الممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي ت 669هـ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة 1399هـ–1979م، ج1ص201.

الحروف العشرة. ولو كان المراد بها أنَّها لا تكون إلا زائدة، لم يُحتج إلى المثال المصوغ لاعتبار الأصل من الزائد، بل كان تحديدها وحصرها كافياً، وكان يقال: إذا وجد حرف من هذه الحروف فاقضِ بزيادته من غير توقف. وهذا بيِّن الفساد، وما أحسن ما أبان ابن عثمان عن هذا المعنى في ترجمة الباب، فقال: "هذا باب ما تجعله زائداً من حروف الزيادة "[1])).[2]

الأدلَّة على معرفة الزائد:

هناك طرقٌ وضعها الدارسون لمعرفة الزائد من الأصل، وذلك عن طريق الاستقراء وجعلوها أدلَّةً على زيادة الحرف، ذكرها بعضهم على سبيل الإجمال فجعلوها قائمة في ثلاثة أسباب ((يعلم بها الأصل من الزائد: الاشتقاق، والمثال، و الكثرة، فأمَّا الاشتقاق فأقواها دليلاً وأعدَّها شاهداً والعلم الحاصل بدلالته قطعي)).[3]

في حين أوصلها بعضهم إلى عشرة أدلَّة، ذكروها على سبيل التفصيل، ومنه قول ابن عصفور في الممتع: ((أمَّا الأدلة التي يعرف بها الزائد من الأصلي فهي: الاشتقاق، والتصريف، والكثرة، واللزوم، ولزوم حروف الزيادة البناء، وكون الزيادة لمعنىً، والنظير، والخروج عن النظير، والدخول في أوسع البابين عند لزوم الخروج عن النظير)).[4] فأدلَّة الزيادة – على ما ذكرها ابن عصفور – عشر وهي مع التمثيل كما يأتي:

1. سقوط الحرف من الأصل كما في ألف "ضارب" فهي تسقط في الأصل الذي هو "ضرب".
2. سقوطه من فرع، نحو سقوط ألف "كتاب" في جمعه على "كُتُب".

---

(1) المنصف، أبو الفتح عثمان بن جنِّي ت 392هـ، تحقيق د. إبراهيم مصطفى و د. عبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى 1954م، ج1ص98.

(2) شرح الملوكي، ابن يعيش، 117–118.

(3) المصدر السابق، ص119، وينظر: الصرف الواضح، النايلة، ص28.

(4) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج1 ص39–40.

3. سقوطه من نظيره،كسقوط ياء "أيطل" في "أطل" و "الأيطل" الخاصرة، ويلزم هذا الأصل أن يكون سقوطه لغير علَّة، فإن كان لعلَّة نحو: واو "وعد" في "يعد" لم يكن دليلاً على الزيادة.
4. كون الحرف مع عدم الاشتقاق في موضع يلزم فيه زيادته مع الاشتقاق، وذلك كالنون إذا وقعت ثالثة وبعدها حرفان، نحو: "ورنتل"، وهو الشر.
5. كونه مع عدم الاشتقاق في موضع يكثر فيه زيادته مع الاشتقاق، كالهمزة إذا وقعت أولاً ، وبعدها ثلاثة أحرف فإنَّها يحكم عليها بالزيادة، وإن لم يعلم الاشتقاق، فإنَّها قد كثرت زيادتها إذا وقعت كذلك، فيما علم اشتقاقه، وذلك نحو "أرنب" و "أفكل" يحكم بزيادة الهمزة حملاً على ما عرف اشتقاقه، نحو "أحمد".
6. اختصاصه بموضع لا يقع فيه إلا حرفٌ من حروف الزيادة، كالنون من "نتأو" وهو الرجل الوافر اللحية.
7. لزوم عدم النظير بتقدير الأصالة في نظير الكلمة التي ذلك الحرف منها، نحو: "تَتْفُل" بفتح التاء الأولى وضم الفاء وهو ولد الثعلب، فإنَّ تاءه زائدة؛ لأنَّها لو جُعلت أصلاً لكان وزنه "فَعْلُل" وهو مفقود.
8. لزوم عدم النظير بتقدير الأصالة في نظير الكلمة التي ذلك الحرف منها، نحو: "تُتْفُل" على لغة ضم التاء والفاء، فإنَّ تاءه أيضاً زائدة على هذه اللغة، وإن لم يلزم من تقدير أصالته عدم النظير، فإنَّها لو جُعلت أصلاً كان وزنه "فُعْلُل" وهو موجودٌ نحو: "بُرْثُن" لكن يلزم عدم النظير في نظيرها، أعني لغة الفتح، فلمَّا ثبت زيادة التاء في لغة الفتح، حُكِم بزيادتها في لغة الضم أيضاً إذ الأصالة اتحاد المادة.
9. دلالة الحرف على معنىً، كحرف المضارعة وألف اسم الفاعل.

10. الدخول في أوسع البابين عند لزوم الخروج عن النظير، وذلك في "كَنَهْبُل" فإنَّ وزنه على تقدير أصالة النون "فَعَلُّل" كـ "سَفَرجُل" بضم الجيم، وهو مفقود على تقدير زيادتها في "فَعَنلُل"، وهو مفقودٌ أيضاً ولكن أبنية المزيد فيه أكثر.[1]

---

(1) ينظر: شرح التصريح، الأزهري، ج 2ص364-362، و: حاشية الصبان، ج 4ص251-252، و: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، دار الأرقم، د.ط.د.ت.،130-132.

المبحـث الثانـي

الخصائص الصوتية لحروف الزيادة:

هناك مجموعة من الخصائص الصوتية تتمتع بها حروف الزيادة جعلتها دون غيرها منتقاةً لتدخل هذا الباب، و يعمد أغلب الدارسين لهذا الباب أثناء الكلام عن هذه الأصوات إلى الإشارة إلى هذه الخصائص بعبارة يكتنفها الكثير من الغموض، وهي قولهم: ((أصل حروف الزيادة حروف المد واللين التي هي الواو والياء والألف؛ وذلك لأنها أخف الحروف، إذ كانت أوسعها مخرجاً و أقلَّها كلفةً)).[1] وجاء في شرح التصريح: ((خُصت هذه الأحرف بالزيادة دون غيرها لان أولى ما زيد حروف المد واللين؛ لأنَّها أخف الحروف وغيرها من الأحرف العشرة يرجع إليها)). [2] وفيما يأتي التوضيح لتلك العبارة من أجل الوصول إلى تلك الخصائص والوقوف عليها.

لمَّا كانت الحروف العربية أغلبها صامتةً وهي التي تحمل دلالة المفردة كما يقول بروكلمان: إنَّ ما يُميِّز اللغات الجزرية ((قبل كلِّ شيء في الأصوات هو رجحان الأصوات الصامتة على الأصوات المتحرِّكة، ويرتبط المعنى الرئيسي في الكلمة في ذهن الساميين بالأصوات الصامتة، أمَّا الأصوات المتحرِّكة فهي لا تعبِّر في الكلمة إلا عن تحويل هذا المعنى وتعديله؛ ولهذا السبب نفسه يقع الثقل الرئيسي في النطق على الأصوات الصامتة مطلقاً ، أمَّا الأصوات المتحركة فإنَّها تتأثَّر في صفتها بتلك الأصوات)).[3]

فكان على المتكلم بها أن يأتي بالحروف الساكنة كما هي؛ وذلك يحمل من الثقل في النطق ما يحمل، وقد يصل الأمر في ذلك إلى الاستحالة، فاحتاجوا

---

(1) شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج5 ص315، وينظر: شرح الملوكي، ابن يعيش، ص101.
(2) شرح التصريح، الأزهري، ج2ص360.
(3) فقه اللغات السامية، المستشرق الألماني كارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض 1977م، ص14-15.

إلى ما يخفِّفُ النطقَ بها ممَّا جعلهم يستعينون في كلامهم بالحركات ليتَّصلَ الكلامُ ولا يحدث فيه انقطاع، ونجد ذلك واضحاً في قول الخليل " رحمه الله " الذي نقله سيبويه: ((زعم الخليل أنَّ الفتحة والكسرة والضمَّة زوائد، وهنَّ يلحقن الحرف ليُوصلَ إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمَّة من الواو فكلٌّ واحدٍ شيءٌ ممَّا ذكرتُ لك)).(1)

فلمَّا جاؤوا بهذه الحركات لتخفيف النطق بالأصوات الساكنة، أصبح وجود الحركات داخل بنية المفردة متتابعةً مأنوساً، وتلك المؤانسة جعلتها أجدر من غيرها بالزيادة لهذا قال ابن يعيش – عندما تكلم عن زيادة الألف والواو والياء: ((فإنَّها مأنوسٌ بزيادتها، إذ كُلُّ كلمة لا تخلو منها، أو من بعضها، ألا ترى أنَّ كلَّ كلمةٍ خلت من أحد هذه الحروف، فلن تخلوَ من حركة: إمَّا فتحة، وإمَّا ضمَّة، وإمَّا كسرة؟ والحركات أبعاض هذه الحروف، وهي زوائد لا محالة، فلمَّا احتيج إلى حروفٍ يزيدونها في كلمهم لأغراض لهم، كانت هذه الحروف أولى، إذ لو زادوا غيرها، لم تُؤْمَنْ نَفْرَةُ الطبع والاستيحاش من زيادتها، إذ تكن زيادته مألوفة)).(2)

ويؤكِّد ابن جني – وبعض المحدثين – أنَّ الحركات أبعاض حروف المدِّ إذ يقول: ((اعلم أنَّ الحركات أبعاض حروف المدِّ واللين وهي الألف والياء والواو، فكما أنَّ هذه ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمَّة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمَّة بعض الواو)).(3)

ويأتي في موضع آخر فيستدلُّ فيه على أنَّ الحركات أبعاض حروف المدَّ بقوله: ((ويدلُّك على أنَّ الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنَّك متى أشبعت واحدةً منهنَّ حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين "عَمَر" فإنَّك إنْ أشبعتها حدث بعدها ألف، فقلت: "عامر". وكذلك كسرة عين "عِنَب" إنْ أشبعتها نشأت بعدها ياءٌ ساكنة، وذلك قولك: "عينب" وكذلك ضمَّة عين "عُمَر" لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنةً، وذلك قولك: "عومَر"، فلولا أنَّ الحركات أبعاض لهذه

(1) الكتاب، سيبويه، ج2 ص315.
(2) شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج5ص315.
(3) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج 1ص28، وينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة 1975، ص37.

الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعةً لها)). [1] وهنا إشارةٌ بديعة في كلامه وهي قوله: "أوائل لها" فإنَّه يشير إلى أنَّ الحركةَ هي الأصل ثمَّ مُدَّت الحركة فنشأ عنها أصوات المدِ واللين. ومن هنا أذهب مع من يقول: إنَّ حروف المدِّ واللين عبارة عن حركتين متتاليتين. [2] بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فقال: لا وجود للحركة على الحرف الذي يسبق حرف اللين، وإنما حرف اللين هو نفسه الحركة، لعلَّه فقط زيد في كمية الصوت في الثانية عن الأولى فجعل القدماء يتوهَّمون وجود حركات قصيرة.[3] فالحركة أصل أصوات اللين وليس العكس.

وتلك المؤانسة التي في أصوات المدِّ واللين جعلتها الوحيدة التي تُزاد داخل أحرف بنية المفردة العربية ومعها النون وسيأتي بيان خصوصية حرف النون بهذا الشأن أثناء الكلام عن هذا الحرف، ومثال ذلك بالنسبة لحروف المدَّ واللين تقول في "ضرب" "ضارب"، وفي "علِم" "عليم" وفي "عَجُزَ" "عجوز". ولا تجد غير هذه الأحرف تتدرج بين حروف المفردة الأصلية إلا تاء الافتعال، فإنَّها تأتي بعد فاء الفعل، والسبب في ذلك أنَّ هناك قلباً مكانياً بين فاء الفعل وتاء الافتعال، كما يفسِّر ذلك دارسو فقه اللغة المقارن، حيث قالوا: ((إنَّ وزن "افتعل" في العربية ناتجٌ عن القلب المكانيّ بين الفاء والتاء. فهذا الوزن – كما يُسْتَدَلُّ بالمقارنة – أصله بتقديم التاء على الفاء، وهو باقٍ على أصله في بعض اللغات السامية..... وإنَّ الموقع الذي تطرأ فيه أحرف الزيادة في الغالب هو قبل أصول الفعل، أي: قبل فائه، في نحو: "أفعل" و"تفاعل" و "تَفَعَّل" و "استفعل"؛ ولذلك يستوقفنا وزن "افتعل" لوقوع تائه بعد فائه)). [4] فالسبب الرئيس الذي جعل أصوات المدِّ واللين أصل

(1) المصدر السابق، ج1ص29.

(2) ينظر: دراسات في علم أصوات العربية، داؤد عبده، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ط. د.ت، ص33–ص39.

(3) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص37ص39.

(4) فقه العربية المقارن–دراسة في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية –، د. رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأُولى 1999، ص83. وينظر: العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد،هنري فليش، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار المشرق بيروت–لبنان، د.ط.1986م، ص146.

أصوات الزيادة؛ أنَّها موجودة أساساً داخل بنية المفردة وتمثِّلها الفتحة والضمَّة والكسرة التي – كما تقدم – إنَّما جيء بها لوصل الكلام، فإذا مُدَّت نشأ عنها الألف والواو والياء على الترتيب، السبب الآخر أنَّها أخفُّ الأصوات كما يصرِّح بها الدارسون؛ إذ كانت أوسعها مخرجاً و أقلها كلفةً. أمَّا بقية أحرف الزيادة فلأنَّها تحمل صفتين أساسيتين، الأولى مشابهتها لأحد أصوات المدَّ بوجهٍ من الوجوه والأُخرى الخفة في النطق، وفيما يأتي بيان ذلك:

الهمزة: ذكر ابن عصفور أنَّ إدراج الهمزة ضمن أحرف الزيادة كونها تشبه حروف العلة من جهة كثرة تغييرها بالتسهيل والحذف والبدل، [1] وقال ابن يعيش – في معرض كلامه عن ورود الهمزة ضمن أحرف الزيادة: ((فمن ذلك الهمزة، فإنَّها تشبه حروف المدَّ واللين من حيثُ إنَّها بصورتها،يدخلها التغيير بالبدل والحذف، وهي مجاورة الألف في المخرج؛ فلمَّا اجتمع فيها ما ذُكر من شبه حروف المدَّ واللين اجتمعت معها في الزيادة)). [2] وزاد في شرح الملوكي: ((فهي تشبه حروف المدَّ واللين من حيثُ كانت تُصَوَّرُ صورتها، فتكون تارة ألفاً، وتارةً واواً، وتارةً ياءً، وصورتها في الأصل ألفٌ... وهي كثيرة الاعتلال والتغيير ومجاورة الألف في المخرج، فلمَّا اجتمع فيها ما ذُكر، من شبه حروف اللين اجتمعت معها في الزيادة)).[3] فهي كما تقدَّم قد اجتمع فيها أكثر من مناسبة صوتية، منها الإبدال بينها وبين أصوات المدّ وقرب مخرجها من مخرج الألف.

التاء: تُعدُّ من أحرف الزيادة فقد ((أشبهت الواو من جهة تقارب مخرجيهما؛ ولذلك أُبدل منها في مثل "تراث". [4] وقال ابن يعيش بخصوص هذا الحرف: ((فأمَّا التاء فمشبهةٌ حروف المدِّ واللين أيضاً؛ لأنَّها حرفٌ مهموس، فناسب همسُها لين حروف المدِّ واللين، ومخرجها من رأس اللسان وأصول الثنايا، وهو قريبٌ من مخرج النون، وقد أُبدِلت من الواو... فلمَّا تُصُرِّفَ فيها هذا التصرف، وأُبْدِلت هذا الإبدال أَتَتْ

(1) ينظر: الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج1 ص208.

(2) شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج5 ص315.

(3) شرح الملوكي، ابن يعيش، ص102–103، وينظر: شرح التصريح، الأزهري، ج2ص360.

(4) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج2 ص208.

مع حروف المدِّ واللين في الزيادة)). [1] فالمناسبة قائمة في المخرج والصفة لأصوات المدِّ واللين.

السين: ذكر ابن عصفور في الممتع: أنَّ السين((تشبه التاء، لهمسها وتقارب مخرجيهما))[2]، وقال ابن يعيش: ((أمَّا السين فهو حرفٌ مُنْسَل مهموسٌ يخرج من طرف اللسان وبين الثنايا، قريب من التاء، ولتقاربهما في المخرج واتفاقهما في الهمس، تبادلا... فلمَّا كان بينهما من القرب والتناسب ما ذُكِر، زِيدَت معها)). [3] فهي لم تقترب من أصوات المدِّ واللين بصورةٍ مباشرةٍ، وإنَّما شابهت التاء التي بدورها تقترب من الواو في المخرج والصفة. أمَّا القول الذي ذهب إليه خالد الأزهري من أنَّ المناسبة في قرب مخرجه من الياء، [4] فأظنُّه قد ابتعد كثيراً عن وجه المناسبة. والذي ساعد هذا الحرف أنْ يكون من أحرف الزيادة كونه لا يحمل صفة تثقُلُ في نطقه، ((فالسين صوتٌ: احتكاكي أسنانيٌّ لثويٌّ مهموسٌ مرَقَّق)). [5] ولم يُزدْ إلا في صيغة "استفعل".

النون: شبَّه ابن عصفور النون بأصوات العلَّة من جهة الغنَّة التي فيها، [6] وعلَّل ذلك ابن يعيش بقوله: ((أمَّا النون، ففيها أيضاً الغنَّة ومخرجها – إذا كانت ساكنةً – من الخيشوم، بدليل أنَّ الماسك إذا أمسك أنفه لم يمكنه النطق بها، وليس لها فيه مخرج معين، بل تمتدُّ في الخيشوم امتداد الألف في الحلق، ولذلك حذفوها لالتقاء الساكنين من قوله:

---

(1) شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج5ص316، وينظر: شرح الملوكي، ابن يعيش،ص 104.
(2) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج1ص209.
(3) شرح المُفَصَّل، ابن يعيش، ج5ص316، وينظر: شرح الملوكي، ابن يعيش، ص106.
(4) ينظر: شرح التصريح، الأزهري، ج2ص 360.
(5) محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب، نشر وزارة الثقافة، عمَّان–الأردن، الطبعة الأولى، 1999م، 195ص، وينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص75.
(6) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج1ص209.

فلَسْتُ بآتيهِ ولا أستَطِيْعُهُ ولاكِ اسْقِنِي إنْ كان ماؤكَ ذا فَضْلِ[1]

كما يحذفون حروف المدِّ واللين من نحو: "رمى القوم" و "يعطي ابنك". فلمَّا أشبهتها فيما ذكرنا، شركتها في الزيادة)). [2] وقال الشنتمري: ((شبَّهها في الحذف بحروف المدِّ واللين إذا سكنت وسكن ما بعدها، نحو: "يغزُ العدوَّ" و "يقضِ الحَقَّ" و "يخشَ الله")). [3] فالشبه واضحٌ مع أصوات المدِّ واللين من جهة امتداد الصوت بها الناتج من الغنَّة التي فيها فهي ممتدَّة كامتداد الصوت مع أصوات اللين، بل إنَّ هذا الشبه جعل بعض الدارسين يذهب إلى القول: بأنَّ ((الواو والياء [المدِّيَّتان] كانتا في الأصل أحد الأصوات الثلاثة "اللام والنون والميم" وقد أدَّتْ عوامل التطور اللغوي إلى هذا الانقلاب لما بين هذه الأصوات وبين الواو والياء من شبه صوتي)). [4] بل إنَّ هذا التشابه الصوتي الكبير بين النون وأصوات المدِّ جعلها دون غيرها تتدرج معها مقحمةً داخل الكلمة في حين بقية حروف الزيادة لا تتدرج مقحمةً،وإنَّما تأتي لواحق أو لواصق. ومن هنا كانت جديرةً بالإلحاق بأحرف الزيادة.

اللام: المشابهة قائمةٌ بين اللام والنون من حيثُ إنَّها ((تستطيل في مخرجها، حتى تلحق بمخرج النون))،[5] قال ابن يعيش: ((فإنَّه [أي: صوت اللام] – وإنْ كان

---

(1) البيت للنجاشي الحارثي، في ديوانه ص 111، وينظر: الكتاب، سيبويه، ج 1ص9، وينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني ت 392هـ، تحقيق د. محمد علي النجَّار، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الرابعة، بغداد–العراق، 1990م، ج1ص311، وينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج 2ص11، وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي ت 1030 هـ–1093م، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني الطبعة الأولى 1403هـ–1983م، ج 10ص419،418، وينظر: شرح التصريح الأزهري، ج1ص196.

(2) شرح المُفصَّل، ابن يعيش، ج 5ص315–316، وينظر: شرح الملوكي، ابن يعيش، ص 103–104.

(3) الكتاب، سيبويه، ج1 ص9–10، "الهامش".

(4) دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة 1998م، ص15، الهامش.

(5) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج1ص209.

مجهوراً – فهو يشبه النون، وقَرُبَ في المخرج؛ ولذلك يدغم فيه النون، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتِي مِن لَّدُنه أَجْراً عَظِيْماً ﴾ (النساء: 40) وقد يحذفون معها نون الوقاية، كما يحذفونها مع مثلها، قالوا: "لَعَلِّي"، كما قالوا: "إنِّي وكأنِّي"))، [1] فهي لم تشبه أصوات المدِّ واللين بصورة مباشرةٍ، وإنَّما أشبهت النون التي بدورها كانت قريبةً من أصوات المدِّ واللين، كما تقدَّم. فحال اللام والنون مع حرف الزيادة، كحال السين والتاء معها.

الميم: ابن عصفور: ((وأمَّا الميم فمضارِعةٌ للواو أيضاً، من جهة تقاربهما في المخرج ومضارعة لحروف العلَّةِ كلِّها من جهة الغنَّة التي فيها، فالتشابه باللين الذي في حروف العلَّة؛ لأنَّ الغنَّةَ فَضْل صوتٍ في الحرف، كما أنَّ اللين كذلك)).[2] وذكر ابن يعيش أنَّ المشابهة قائمة أيضاً في القرب من مخرج الواو من جهة، ومن جهة الغنَّة التي تشبه المدَّ في أصوات اللين.[3]

الهاء: الهاء قريبة من مخرج الهمزة فهي تشبه حروف الزيادة بصورة غير مباشرة؛ لأنَّها أشبهت الهمزة، والهمزة تشبه أصوات المدِّ واللين. فكان حظُّها من الزيادة قليلاً هي وأُختاها اللام والسين، واللتان أشبهتا أصوات المدِّ واللين بصورة غير مباشرة، كما هي الحال مع الهاء؛ ولهذا قال ابن عصفور في معرض حديثه عن الهاء: ((وأمَّا الهاء فمشبهة للهمزة، من جهة تقارب مخرجيهما؛ لأنَّها من حروف الحلق. ولمَّا كانت هذه الحروف [يعني: السين واللام والهاء] لم تشبه حروف العلَّة؛ بل أشبهت المشبَّهة بها، لم تجيء مزيدةً إلا في ألفاظ محفوظة وأماكن مخصوصة لا تتعدَّاها. فهي أقلُّ الحروف زيادةً لذلك)). [4] ولهذا قال بعضهم: ((ولكلِّ حرفٍ من هذه الحروف موضع تكثرُ فيه زيادتها، وموضع تقلُّ فيها، وربَّما

---

(1) شرح المُفَصَّل، ابن يعيش، ج5ص317.
(2) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج1ص208–209.
(3) ينظر: شرح المفصَّل، ابن يعيش، ج 5ص315، وينظر: شرح الملوكي، ابن يعيش، ص103، وينظر: شرح التصريح، الأزهري، ج2ص360.
(4) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج1ص209.

اختصَّ الحرف بموضعٍ لا يوجد زائداً إلا فيه كسين الاستفعال وما يشتقُّ منه)). [1] وذكر ابن يعيش غير ذلك فقال: ((أمَّا الهاء، فحرفٌ خفيٌّ مهموس، فناسبت بهمسها وخفائها لين حروف المدِّ واللين، وهي من مخرج الألف، كيف وأبو الحسن [يعني: الأخفش الأوسط] يَدَّعي أنَّ مخرج الألف هو مخرج الهاء ألبتة... فلمَّا وُجِدَ فيها ما ذُكر من شبه حروف المدِّ واللين، وافقتها في الزيادة)).[2]

فجعل الشبه بينها وبين أحرف المدِّ واللين مباشراً، وليس كما قال ابن عصفور، والأرجح عندي قول ابن عصفور؛ وذلك من وجهتين، الأولى كونها من مخرج الألف هذا لا يعني أنها بعيدة عن مخرج الهمزة فالهاء صوت ((احتكاكي حنجري مهموس مُرَقَّق)). [3] وكذلك مخرج الهمزة أيضاً من الحنجرة ولهذا أطلق عليها بعضهم "الوقفة الحنجريَّة"[4]، في حين إنَّ الألف تُنْسَبُ إلى الجوف،[5] وهي قريبة من مخرج الهاء والهمزة، وقد استأنَسَ سيبويه لهذا التقارب في المخرج؛ لهذا عندما تكلَّم عن أصوات العربية عدَّها أولاً بقوله: ((الهمزة والألف والهاء))، [6] وعندما تكلَّم عن ترتيب مخارج الأصوات عدَّ ((الهمزة والهاء والألف)) فقدَّم الهاء في الثانية عن الألف في الأولى إشارةً منه إلى التقارب في المخارج، حتى تكاد تكون من مخرج واحد، في حين نجد أنَّ د. حسام النعيمي جعله من عمل النسَّاخ.[7] والأُخرى أنَّها – كما تقَدَّم – أقلُّ من أخواتها في ورودها زائدةً، وهذا ما

(1) الصرف الواضح، النايلة، ص26.

(2) شرح المُفَصَّل، ابن يعيش، ج 5ص316. وينظر: شرح الملوكي، ابن يعيش، 104–105، وينظر: شرح التصريح، الأزهري، ج2ص360.

(3) محاضرات في اللسانيَّات، الشايب، ص189.

(4) المصدر السابق، ص159.

(5) علم اللغة مقدِّمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.د.ت.، ص160، وينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس، ص115–116.

(6) الكتاب، سيبويه، ج2ص404.

(7) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1980، ص301.

جعل أغلب الدارسين ينسبون إلى المُبَرِّد أنَّه قد أخرجها من بين أحرف الزيادة. [1] وكان الذي يُنسب إليه قولهم: ((وقد أخرجها أبو العبَّاس من حروف الزيادة واحتجَّ بأنَّها لم تُزَد إلا في أواخر الكلم والوقف)). [2] والحقيقة أنَّه لم يخرجها، وقد صرَّح بنسبتها إلى حروف الزيادة في أكثر من موضع من كتابه "المُقتضب" ولم يُؤثر عنه أنَّه زعم ذلك سوى ما ذكره النحويون، إذ قال في باب حروف الزيادة: ((وهي عشرة أحرف: الألف والياء والواو والهمزة والتاء والنون والسين والهاء واللام والميم)).[3] وقال في موضع آخر: ((فالهاء زائدةٌ؛ لأنَّها من حروف الزوائد)). [4] والمتأمِّل في حروف الزيادة يجد نفسه أمام مجموعة من الأصوات الموزَّعة على جميع مدارج النطق، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ العربي عندما انتقى هذه الحروف – فضلاً عمَّا تقدَّم من أسباب – كان يقصد الجمع بين مدارج النطق ليَتَسَنَّى له اختيار الحرف المناسب مع الذي يليه ليقع نطقه دون نفرةً أو استيحاش فكان تنوع مدارج النطق عاملاً مهمَّاً في تنوِّع هذه الحروف.

الخاتمـــــة:

بعد هذا العرض المتواضع لهذه الدراسة، أُقدِّم بين يدي القارئ أهم النتائج التي توصَّلَ إليها البحث وهي كما يأتي:

- إنَّ كون حروف المدِّ واللين هي الأساس في حروف الزيادة، ليس لخفَّتِها فقط – كما يذكر الدارسون، وإنَّما كانت كذلك كونها مستأنساً بوجودها داخل بنية المفردة.

---

(1) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج2ص118، و ينظر: شرح المُفَصَّل، ابن يعيش، ج5ص316، و ينظر: شرح الملوكي، ابن يعيش، 105، و ينظر: شرح الأشموني، ج4ص251، و ينظر: شرح التصريح، الأزهري، ج2ص262.

(2) شرح الملوكي، ابن يعيش، ص105.

(3) المقتضب، المبرِّد، ج1ص56.

(4) المصدر السابق، ج3ص169.

- إنَّ الفتحة والضَّمَّة والكسرة هي الأساس المُسوِّغ للزيادة قبل أحرف المدِّ واللين، وإنَّ تلك الحركات هي أصل حروف المدِّ واللين.
- إنَّ حروف المدِّ واللين والنون تنفردُ بورودها مزيدةً داخل الكلمة – مقحمةً – دون غيرها؛ لِما تحمله من خِفَّةٍ و مؤانسةٍ صوتية، في حين بقية الأصوات لا تأتي إلا لواحق أو لواصق.
- إنَّ الأصل في صيغة " افتعل " هي " اتفعل " وإنَّ هذه الصيغة قد حصل فيها قلبٌ مكانيٌ، بحسب ما تثبتته الدراسات المقارنة.
- إنَّ ما نُسِبَ إلى المُبَرِّد من أنَّه قد أخرج الهاء من حروف الزيادة، عارٍ عن الصِّحَّة وإنَّه يُثْبتها حرفاً من حروف الزيادة.
- كلَّما كان الحرف الزائد خفيفاً في النطق كان وروده مزيداً أكثَر من غيره، وهذا ما جعل بعض الحروف لا تأتي إلا في أماكن معيَّنَةٍ وبصورةٍ محدودةٍ

Affix in The Arabic Lexeme Phonological Study

Khalid Hazim Idan*

Abstract

Affixation in Arabic is one of issues in which grammarian a time when phonology was one of the subjects that should tackled in grammar book.

The present paper studies affixes Being a phonological lexical issue in Arabic it is also related to the sentence structure which is syntactically studied.

To achieve the goal of uncovering the phonological relationships among these affixes, the plan of the paper falls into two directions. The first one introduces these affixes lexical meaning and technical meaning, the number of the affixes pattern. These affixes are previewed morphologically.

The second one deals with the phonological features which make them called affixes through studying each one separately.

It was found out that the harmony of "Alef, waw, and ya", and their softness made the as affixes. The softer the letter, the more recurrent as an affix it is.

Almubarid did not exclude "alhaa" from the affixes in Arabic.

* Dept. of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.